﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [القصص: 87]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

النَّهيُ عن الإعراضِ عن الحقِّ بعدَ النَّهيِ عن مُعاوَنةِ أهلِ الباطلِ

في مناسبةِ الآيةِ لِما قبلَها وجهانِ متقاربانِ: **أحدُهما:** أنَّه لمّا كانَ التَّواني في النَّهيِ عن المُنكَرِ إعراضًا عن الأوامرِ، وإنْ كانَ المُتواني مجتهدًا في العملِ؛ قالَ ﷺ تنبيهًا على شدَّةِ الأمرِ؛ لكثرةِ الأعداءِ، وتتابعِ الإيذاءِ والاعتداءِ: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ الآيةَ[1]، **والوجه الثّاني:** أنَّه بعدَما نهَى اللّهُ تعالى نبيَّهُ ﷺ عن مُظاهَرةِ الكافرينَ؛ شدَّدَ عزمَهُ وقوّاهُ بألّا يأبهَ بمخالفتِهم، فقالَ: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ الآيةَ[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَصُدُّنَّكَ﴾: (صد) الصدُّ اعتراضٌ بشيءٍ قوي أو كثيف يرُدُّ المُقبِل أو يمنعه[3]، ومعظم بابه إعراضٌ وعدولٌ[4]، وعليه فالصُّدودُ والصَّدُّ قد يكونُ انصرافًا عنِ الشَّيءِ وامتناعًا، كما في قولِه تعالى: ﴿يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ [النّساء: 61]، وقد يكونُ صَرْفًا ومَنْعًا، نحوُ قولِه تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النمل: 24]، وقولِه: ﴿يَصُدُّنَّكَ﴾ يعني: يصرفنَّك، ويمنعنَّك.

2) ﴿وَٱدْعُ﴾: (دعو) أصلٌ يدلُّ على إمالةِ الشَّيءِ إليكَ بصوتٍ وكلامٍ يكونُ منكَ[5]، بجذبه أو محاولة ضمِّه أو غير ذلك[6]، والدُّعاءُ:

(1) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 380.
(2) المراغي، تفسير المراغي: 20/ 105.
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي: (صدد - صدي).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صد).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (دعو).
(6) جبل، المعجم الاشتقاقي: (دعو).

الرَّغبةُ إلى اللهِ فيما عندَهُ مِنَ الخيرِ، والابتهالُ إليهِ بالسُّؤالِ[1]، وتقولُ: دَعَوْتُهُ؛ إذا سألتَهُ. والادِّعاءُ: أنْ يزعم شيئًا أنَّهُ لهُ، والدَّعوى: الدُّعاءُ، قالَ سبحانَهُ: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس: 10][2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الـدَّعـوةُ إلى التَّمسُّكِ بالحقِّ واجتنابِ الباطلِ

ولا يَصْرِفَنَّكَ - أيُّها النَّبيُّ - هؤلاءِ المشركونَ عن تبليغِ آياتِ اللهِ وحُجَجِهِ بعدَ أنْ أنزلَها إليكَ، وادْعُ إلى سبيلِ ربِّكَ، وبلِّغْ رسالتَهُ إلى مَنْ أرسلكَ إليهِ بها، واعبُدْهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ، ولا تتركنَّ الدُّعاءَ إليهِ وتبليغَ رسالتِهِ، فتكونَ ممَّنْ فعلَ فِعْلَ المشركينَ بمعصيتِهِ ومخالفةِ أمرِهِ[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ الوصل في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ﴾:

التـشـريـكُ في جملةِ الأوامـرِ والنواهي

الواوُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ للعطفِ، وهذهِ الجملةُ وما بعدَها مِنَ النَّواهي والأوامرِ داخلةٌ في حيِّزِ التَّفريعِ بالفاءِ في قولِهِ: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾[4].

(لا) في ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ﴾:

(لا) في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ ناهيةٌ، فتفيدُ النَّهيَ عن الإعراضِ عن دينِ اللهِ بسببِ المشركينَ.

دلالةُ صيغةِ المضارعِ ﴿يَصُدُّنَّكَ﴾:

عمومُ الاستمرارِ والـدوامِ على عـدمِ الإعـراضِ عن آياتِ اللهِ

عُبِّرَ بصيغةِ المضارعِ المجزومِ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾؛ للدَّلالةِ على طلبِ الاستمرارِ على

(1) الزبيدي، تاج العروس: (دعو).
(2) الراغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (دعو).
(3) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 643، والمراغي، تفسير المراغي: 20/ 105.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 196.

عدمِ الإعراضِ عن آياتِ اللهِ تعالى، والفعل كالنَّكرة في إفادة العموم في سياق النهي، وهو هنا نهيٌ عن عموم الصدِّ في عموم الزمان والمكان.

نكتةُ الإتيانِ بنونِ التَّوكيدِ في ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ﴾:

الـدلالـةُ على عموم المعنى في المحذوف المقدَّر

جيءَ بنونِ التَّوكيدِ الثَّقيلة في قولِهِ تعالى: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾؛ لتأكيدِ النَّهي عن الإعراضِ عن آياتِ اللهِ تعالى؛ لأنَّ الإعراضَ عنها مَهْلَكَةٌ يقتضي المقامُ مزيدَ التَّحذيرِ منها.

مرجعُ ضميرِ الغَيبةِ في ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ﴾:

الـدلالـة على العموم

ضميرُ الغَيبةِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ يحتمل أن يكون للكافرينَ[1]، أي: ولا يَصُدُّنَّكَ الكفّارُ بأقوالِهم وكذبِهم وأذاهم، ولا تلتفتْ نحوَهُ، وامضِ لشأنِكَ[2]، ويحتمل أن يكون لكل صادٍّ، أي: لا يصدنَّك أيُّ صادٍّ عن آيات الله.

بلاغةُ الكنايةِ في: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾:

الإشـارةُ إلى نهيه ﷺ عن أنْ يتقبَّلَ منهُم ما فيهِ صدٌّ عن آياتِ اللهِ

قولُهُ ﷻ: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ كنايةٌ عن نهيِهِ ﷺ عن أنْ يتقبَّلَ منهُم ما يكون سببًا في الصدِّ عن آياتِ اللهِ، كما تقولُ العربُ: لا أعرفنَّكَ تفعلُ كذا، كَنَّوا بهِ عن أنَّهُ لا يفعلُهُ، فيعرف المُتكلِّمُ النّاهي فِعْلَهُ، أو هو للتَّهييجِ أيضًا[3]، ويجوزُ أنْ يكونَ الخطابُ معَهُ ﷺ، ولكنَّ المُرادَ غيرُهُ[4]، وهم سائر أُمَّتِهِ من بعده.

سرُّ تخصيصِ الخطابِ بالنَّبيِّ ﷺ:

تعـظـيـمُ شـأنِ الـنَّـهـيِ عـن الإعراضِ

عدمُ الإعراضِ عن آياتِ اللهِ واجبٌ على الكلِّ، إلّا أنَّهُ تعالى

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 28.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 303.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 195.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 20.

خاطبَ بقولِهِ: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ النَّبيَّ ﷺ خصوصًا؛ لأجلِ تعظيمِ شأنِ النَّهيِ عن الإعراضِ[1]، ببيانِ أنَّهُ إذا خوطِبَ النَّبيُّ ﷺ بذلكَ؛ فغيرُهُ أولى وآكدُ.

سرُّ التَّعبيرِ بـ ﴿عَنْ﴾ في قوله: ﴿عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾:

حرفُ الجرِّ ﴿عَنْ﴾ في قولِهِ جلَّ شأنُهُ: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ للمجاوزةِ، أي: لا يصدنَّك أيُّ شيء تتجاوز بسببه آيات الله، وتبتعد عنها.

نكتةُ جمعِ الآياتِ:

الإشـــارةُ إلى تـعـدُّدِ الآيـاتِ وتنوُّعها

عُبِّرَ بلفظِ الجمعِ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾؛ للإشارةِ إلى تعدُّدِ الآياتِ وتنوُّعها؛ لأنَّ المقصودَ بها آياتُ القرآنِ الكريمِ، وهي كثيرةٌ[2]، والمعنى: ولا يَصُدُّنَّكَ عن قراءتِها والعملِ بها[3]، أو المقصودُ بها الحججُ والبراهينُ العقليةُ والأنفسيةُ والآفاقيةُ، التي تدلُّ عليها الآياتُ القرآنيةُ، فيكون جمعٌ بين جملةٍ أنواعٍ من الآياتِ.

نكتةُ الإضافةِ في ﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ إلى الاسمِ الجليلِ:

تعظيمُ الآيـاتِ والإشعارُ بعِظَمِ جُرْمِ الصَّدِّ

أُضيفَتِ الآياتُ إلى لفظِ الجلالةِ الذي يدلُّ على المهابةِ في قولِ الحقِّ جلَّ شأنُهُ: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾؛ لتعظيمِ الآياتِ، والإشعارِ بعِظَمِ جُرْمِ الصَّدِّ[4]؛ لأنَّ الصَّادَّ عنها يصدُّ عن آياتٍ عظيمةِ الشَّأنِ منسوبةٍ لذي الجلالِ والكِبْرياءِ، ولفظِ الجلالةِ الذي هو عنوانُ الألوهيةِ، فيه زيادةُ تعظيمِ الآياتِ بكونِها مِنَ المُتَّصفِ بصفاتِ الكمالِ[5]، ولأنَّ لفظَ الجلالةِ أنسبُ بمقامِ النَّهيِ والتَّحذيرِ مِنَ الإعراضِ عن الآياتِ.

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 20.
(2) النسفي، مدارك التنزيل: 2/ 662.
(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 187.
(4) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 588.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 380.

سرُّ التَّعبيرِ بالآياتِ بعدَ التَّعبيرِ بالقرآنِ والكتابِ:

المبالغةُ في النَّهي عـن الإعـراض وتعظيم المُنْزَل

عُبِّرَ بالآياتِ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ بعدَ التَّعبيرِ بالقرآنِ في قولِهِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾، وبالكتابِ في قولِهِ: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾؛ للمبالغةِ في النَّهيِ عن الإعراضِ[1]، وزيادةِ التَّعظيمِ للمُنزَلِ على النَّبيِّ ﷺ، وللدلالةِ على أنَّ هذا الملقى المنزل المُسمّى بالقرآن والكتاب فيه من العِبَر والحجج والبراهين العقلية والأنفسيَّة والآفاقية ما يستحقُّ إفراده بالذِّكر.

بلاغةُ التَّقييدِ بالبعديَّةِ:

بيـانُ كـمـالِ قُبْحِ الصَّدِّ، أو لتعليلِ النَّهي

التَّقييدُ بالبعديَّةِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾؛ لأنَّ الصَّدَّ إنَّما يكونُ بعدَهُ، ولو لم يجئ هذا القيدُ؛ لتمَّ المعنى، لكنْ جيءَ بهِ لبيانِ كمالِ قُبْحِ الصَّدِّ[2]، وقيلَ: التَّقييدُ بالبعديَّةِ لتعليلِ النَّهي أيًّا ما كانَ المرادُ منهُ، أي: لا يجوزُ أنْ يصدّوكَ عن آياتِ اللهِ بعدَ إذ أنزلَها إليكِ؛ فإنَّهُ ما أنزلَها إليكَ إلّا للأخذِ بها ودوامِ تلاوتِها، فلو فُرِضَ أنْ يصدّوكَ عنها؛ لذهبَ إنزالُها إليكَ باطلًا وعبثًا، كما في قولِهِ تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [البقرة: 213][3].

بلاغةُ حذفِ المضاف في ﴿بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ﴾:

الإيـجـازُ بجواز حـذفِ الـكـلام المعروف

قولُهُ: ﴿بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ في قولِهِ سبحانَهُ: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ تقديرُهُ: بعدَ وقتِ إنزالِها، و﴿إِذْ﴾ تضافُ إليهِ أسماءُ الزَّمانِ، كقولِكَ: حينئذٍ، وليلَتئذٍ، ويومَئذٍ، ونحوَ ذلكَ[4].

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 588.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 588.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 196.
(4) الزمخشري، الكشاف: 3/ 437.

لطيفةُ بناءِ ﴿أُنزِلَتْ﴾ لِما لم يُسَمَّ فاعلُهُ:

الإشـــارةُ إلى تعيُّنِ الفاعلِ

بُنِيَ فعلُ ﴿أُنزِلَتْ﴾ في قولِهِ تقدَّسَ ذكرُهُ: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾؛ لِما لم يُسَمَّ فاعلُهُ؛ إشارةً إلى تعيُّنِ الفاعلِ، وأنَّهُ لا يحتاجُ إلى بيانٍ[1]؛ لأنَّ إنزالَ الآياتِ لا يكونُ إلّا منهُ ﷻ، وفي ذلكَ تفخيمٌ لشأنِ إنزالِها.

بلاغةُ التَّعبيرِ عن الآياتِ بالإنزالِ:

الدلالةُ على علوِّ مكانتها ورفعة منزلتها

في قولِهِ تعالى: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ مجازٌ بديعٌ، وذلكَ أنَّ الإنزالَ هو جعلُ الشَّيءِ نازلًا، والنُّزولُ الانتقالُ مِنْ عُلْوٍ إلى سُفْلٍ، وهو حقيقةٌ في انتقالِ الذَّواتِ مِنْ عُلْوٍ، ويُطلَقُ الإنزالُ ومادَّةُ اشتقاقِهِ بوجهِ المجازِ اللُّغويِّ على معانٍ راجعةٍ إلى تشبيهِ عملٍ بالنُّزولِ؛ لاعتبارِ شرفٍ ورِفْعةٍ معنويَّةٍ، كما في قولِهِ تعالى: ﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ [الأعراف: 26]، وقولِهِ: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الزمر: 6]؛ لأنَّ خلْقَ اللهِ وعطاءَهُ يُجعَلُ كوصولِ الشَّيءِ مِنْ جهةٍ عُليا لشرفِهِ.

وأمّا إطلاقُهُ على بُلوغِ الوصفِ مِنَ اللهِ إلى الأنبياءِ؛ فهو إمّا مجازٌ عقليٌّ بإسنادِ النُّزولِ إلى الوحيِ تبعًا لنزولِ المَلَكِ مُبلِّغِهِ، الَّذي يتَّصلُ بهذا العالَمِ نازلًا مِنَ العالَمِ العُلْويِّ؛ فإنَّ المَلَكَ مُلابِسٌ للكلامِ المأمورِ بتبليغِهِ، وإمّا مجازٌ لغويٌّ بتشبيهِ المعاني الَّتي تُلقَى إلى النَّبيِّ ﷺ بشيءٍ وصلَ مِنْ مكانٍ عالٍ، ووجهُ الشَّبهِ هو الارتفاعُ المعنويُّ، لا سيَّما إذا كانَ الوحيُ كلامًا سمعَهُ الرَّسولُ كالقرآنِ[2].

دلالةُ تقييدِ الإنزالِ بـ ﴿إِلَيْكَ﴾:

زيـــادةُ تقبيحِ الصَّدِّ عن الآياتِ

قُيِّدَ إنزالُ الآياتِ بـ ﴿إِلَيْكَ﴾ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾؛ لزيادةِ تقبيحِ الصَّدِّ عن آياتِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 380.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/ 238.

اللّهِ؛ لأنَّ الإعراضَ عنها - ممَّنْ نزلَتْ عليهِ، وعلمَ حقيقتَها - أدعَى للإنكارِ.

سرُّ الوصلِ في ﴿وَٱدۡعُ﴾:

الاشتراك في وجوب الأخذ بالأوامر والنواهي

الواوُ في قولِهِ جلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ﴾ عاطفةٌ لهذهِ الجملةِ على ما قبلَها، وجميعُ النَّواهي والأوامرِ المذكورةِ في الآيةِ داخلةٌ في حيِّزِ التَّفريعِ بالفاءِ في قولِهِ سبحانَهُ: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرٗا لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾[1]؛ ليفيد أنَّ هذا الأمر ﴿وَٱدۡعُ﴾ مشتركٌ مع ما قبله في وجوب الأخذ بالأوامر والنَّواهي.

غرضُ الأمرِ في ﴿وَٱدۡعُ﴾:

الأمرُ دوام الدعوة والثبات عليها

الأمرُ في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ﴾ مُستعمَلٌ في الأمرِ بالدَّوامِ على الدَّعوةِ إلى اللّهِ، والثباتِ عليه والتمسُّكِ به، لا إلى إيجادِ الدَّعوةِ؛ لأنَّ ذلكَ حاصلٌ، أي: لا يَصرِفْكَ إعراضُ المشركينَ عن إعادةِ دعوتِهم؛ إعذارًا لهُم.

ويجوزُ أنْ يكونَ الدُّعاءُ مُستعمَلًا في الأكملِ مِنْ أنواعِهِ، أي: إنَّكَ بعدَ الخروجِ مِنْ مكَّةَ أشدُّ تمكُّنًا في الدَّعوةِ إلى اللّهِ ممّا كنتَ مِنْ قبلُ؛ لأنَّ تشغيبَ المشركينَ عليهِ كانَ يُؤثِّرُ في صفاءِ تفرُّغِهِ للدَّعوةِ[2].

بلاغةُ حذفِ مفعولِ ﴿وَٱدۡعُ﴾:

القصدُ إلى التَّعميمِ

حُذِفَ مفعولُ ﴿وَٱدۡعُ﴾ في قولِهِ عزَّ شأنُهُ: ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ﴾؛ للقصدِ إلى تعميمِ المفعولِ، والمعنى: وادْعُ كلَّ النّاسِ[3]، أو: وادْعُ كلَّ أحدٍ؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ مُرسَلٌ إلى الثَّقلينِ، ويجوزُ أنْ يكونَ الفعلُ قد نُزِّلَ منزلةَ اللّازمِ، أي: أوجِدِ الدَّعوةَ وأحدِثْها.

سرُّ عدمِ تأكيدِ ﴿وَٱدۡعُ﴾:

الدَّلالةُ على الاكتفاءِ بالمستطاعِ

جيءَ بقولِهِ تعالى: ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ﴾ خاليًا مِنَ التَّأكيدِ، ولم يقل:

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 196.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 196.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 28.

(وادعوَنَّ) معَ تأكيدِ ما قبلَهُ، وهو قولُهُ: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾، وتأكيدِ ما بعدَهُ، وهو قولُهُ: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾؛ اكتفاءً بالمستطاعِ، فإنَّ الفعلَ ليسَ للمبالغةِ فيهِ جدًّا، وفي ذلكَ إشارةٌ إلى أنَّ جَلْبَ المصالحِ أيسرُ خَطْبًا مِنْ دَرْءِ المفاسدِ، فإنَّ المطلوبَ فيهِ بُلوغُ الغايةِ[1].

سرُّ التعبير بـ﴿إِلَىٰ﴾ في ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾:

الـغـايـةُ من الـدعـوة تبليغ دين الله

حرف الجرِّ ﴿إِلَىٰ﴾ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾؛ لانتهاءِ الغايةِ مجازًا؛ لأنَّ المقصودَ أنْ تنتهيَ دعوةُ النَّبيِّ ﷺ إلى دينِ اللهِ تعالى، بحيثُ يَسعَى لإيصالِ النّاسِ إلى خالقِهم.

بلاغةُ الإيجازِ في ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾:

اتِّساع المعاني الممكنة في تقدير المحذوف

في قولِهِ تعالى: ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ إيجازٌ بحذفِ مضافٍ، إذ التَّقديرُ: (وادْعُ إلى عبادةِ ربِّكَ وتوحيدِهِ)[2]، أو وادعُ إلى سبيلِ ربك، أو وادعُ إلى دينِ ربِّك، وهذا العمومُ مُستفادٌ مِنَ التَّعبيرِ بـ﴿رَبِّكَ﴾[3]؛ لأنَّه مفرد أُضيف إلى معرفة.

دلالةُ التَّعبيرِ بعُنوانِ الرُّبوبيَّةِ في ﴿رَبِّكَ﴾:

ملاءمةُ الرُّبوبيَّةِ لمقامِ الأمرِ بالدَّعوةِ إلى اللهِ

جيءَ بعُنوانِ الرُّبوبيَّةِ في قولِ الحقِّ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾؛ لمناسبةِ هذا الاسمِ الجليلِ لمقامِ الأمرِ بالدَّعوةِ إلى اللهِ تعالى؛ لأنَّ هذا الاسمَ يُنبئ بحسَبِ معناهُ اللُّغويِّ عن التَّربيةِ والإنعامِ والإحسانِ، وذلكَ يستوجبُ إفرادَ اللهِ سبحانَهُ بالتَّوحيدِ والعبادةِ، والمعنى: وادْعُ إلى المُحسِنِ إليكَ؛ لإحسانِهِ إليكَ، وإقبالِهِ دونَ الخلقِ عليكَ[4].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 380.
(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 187.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 588.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 380.

سرُّ وضعِ الظاهر موضع الضمير:

الانتقال من الاسم الدالِّ على المهابة إلى الاسم الدالِّ على الإنعام والإحسان

عدل القرآن عن الإضمار إلى الإظهار، فلم يقل: (وادع إليه)، أي: إلى اللهِ تعالى المذكورِ في قولِهِ: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾، بل قال: ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾، أي: المنعم عليك المحسن المتفضل، وفي ذلك جمع بين معاني الألوهيَّة والرُّبوبيَّة.

نكتةُ الإضافةِ في ﴿رَبِّكَ﴾:

تشريفُ النَّبيِّ ﷺ وإعلاء مكانته

أُضيفَ لفظُ الرَّبِّ إلى ضميرِ المُخاطَبِ الرّاجعِ إلى النَّبيِّ ﷺ في قولِهِ تعالى شأنُهُ: ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾؛ لتشريفِ النَّبيِّ ﷺ بكونِهِ مربوبًا للهِ تعالى، وصفةُ العُبوديَّةِ هي أكرمُ صفةٍ يتحلَّى بها المخلوقُ، وكأنَّه ربُّهُ وحدَهُ.

بلاغةُ الوصل في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ﴾:

التشريكُ في جملة الأحكام

الواوُ في قولِهِ جلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ عاطفةٌ لهذهِ الجملةِ على ما قبلَها، وجميعُ النَّواهي والأوامرِ المذكورةِ في الآيةِ داخلةٌ في حيِّزِ التَّفريعِ بالفاءِ في قولِهِ سبحانَهُ: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾[1].

بلاغةُ التَّعبيرِ بـ(لا) في ﴿وَلَا تَكُونَنَّ﴾:

امتدادُ النَّهي من الزَّمان الحاضر إلى الزَّمان المستقبل

(لا) في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ ناهيةٌ، فتفيدُ النَّهيَ عن الانخراطِ في جملةِ المشركينَ، ومعلومٌ أنَّ النَّبيَّ ﷺ لا يُفرَضُ في حقِّهِ الشِّركُ، فهذا النَّهيُ إمّا مِنْ قبيلِ التَّهييجِ[2]، أو المُخاطَبُ هو النَّبيُّ ﷺ والمرادُ غيرُهُ[3]، أو هو من باب نواهي التكوين الإلهيَّة النافذة في حقِّ المنهي على سبيل التمثُّلِ على الَّذي وقع عليه النَّهي.

دلالةُ صيغةِ المضارعِ ﴿تَكُونَنَّ﴾:

عُبِّرَ بصيغةِ المضارعِ المجزومِ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾؛ للدَّلالةِ على طلبِ التَّجدُّدِ والاستمرارِ على عدمِ الإشراكِ.

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 196.

(2) الزمخشري، الكشاف: 3/ 437.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 196.

نكتةُ الإتيانِ بنونِ التَّوكيدِ في ﴿تَكُونَنَّ﴾:

جيءَ بنونِ التَّوكيدِ الثَّقيلةِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ﴾؛ لتأكيدِ النَّهيِ عن الإشراكِ؛ لأنَّ الإشراكَ باللهِ تعالى جُرْمٌ عظيمٌ يقتضي المقامُ مزيدَ التَّحذيرِ منهُ بالتأكيد عليه.

بلاغةُ التَّعبيرِ بـ﴿مِنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾:

(مِنْ) للتَّبعيضِ والنَّهي عن مشاركة المشركين ولو في عمل من أعمالهم

﴿مِنَ﴾ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ للتَّبعيضِ[1]، والمعنى: ولا تكونَنَّ واحدًا من المشركين أو فردًا من أفرادهم، ولو بالمشاركة في عملٍ من أعمالهم، ولا تنخرط في سِلْكِهم.

بلاغةُ التعبير بـ(أل) الموصولة في: ﴿ٱلْمُشْرِكِينَ﴾:

(أل) في قوله: ﴿ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ موصولةٌ، واللفظ (مشركين) صلتها، والموصول إذا دخل على الجمع؛ يفيد عموم الأفراد، فيكون المعنى: فلا تكونَنَّ ظهيرًا لأيِّ مشركٍ.

سرُّ التَّعبيرِ بصيغةِ اسمِ الفاعلِ ﴿ٱلْمُشْرِكِينَ﴾:

الإشارةُ إلى رُسوخِهم في الشِّركِ

جيءَ بصيغةِ اسمِ الفاعلِ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾؛ لِما تدلُّ عليهِ هذهِ الصّيغةُ مِنْ رُسوخِهم في الشِّركِ، وأنَّهُ صارَ بمنزلةِ صفةٍ مِنْ صفاتِهم الجِبِلِّيَّةِ الَّتي لا ينفكّونَ عنها، ولا تفارقُهم.

سرُّ الإظهارِ في موضعِ الإضمارِ في ﴿ٱلْمُشْرِكِينَ﴾:

زيادةُ تقبيحِ حالِ الكفرةِ بوقوعهم في الشِّرك مع مراعاةُ الفاصلةِ

الظّاهرُ أنْ يُقالَ في الآية الكريمة: (ولا تكونَنَّ منهُم)؛ لأنَّ الضَّميرَ راجعٌ إلى الكافرينَ المذكورينَ في قولِهِ: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾، لكنْ عُدِلَ إلى الإظهارِ في قولِهِ: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾؛ لزيادةِ تقبيحِ حالِ الكفرةِ بذِكْرِهم بوصفِ الإشراكِ بعدَ ذكرِهم بوصفِ الكفرِ، وللتَّوصُّلِ باللّامِ الموصولةِ الَّتي في

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 196.

﴿ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ إلى بيانِ علَّةِ النَّهيِ عن كونِهِ منهُم، وهي شركُهم باللهِ تعالى، كأنَّهُ قيلَ: فلا تكونَنَّ ظهيرًا لهُم؛ لأنَّهم مُشركونَ، إضافةً إلى ما في إظهارِ ﴿ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ مِنْ مراعاةِ ملاءمةِ فاصلةِ الآيةِ لِما قبلَها.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الصَّدّ والمنع:

خصوصيَّةُ الصدِّ بالقوَّة والارتداد بخلاف المنع

يتجلَّى الفرق بين الصدِّ والمنع في أنَّ الصَّدَّ إنَّما يكون بشيءٍ قوي أو سميك أو كثيف حسًّا أومعنًى، ويترتَّب عليه أمران، إمّا الردُّ إلى جهة الابتداء، أو المنع من التجاوز، وقد يعبَّر به عن الإعراض والانصراف، بينما المنع لا يشترط فيه قوة المانع، وعليه فليس فيه ردٌّ إلى جهة الابتداء، وأنَّ الصَّدَّ هو المنعُ عن قصدِ الشَّيءِ خاصَّةً، ولذلكَ قالَ تعالى: ﴿وَهُمۡ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ [الأنفال: 34]، أي: يمنعونَ النّاسَ عن قصدِهِ، وأمّا المنعُ فيكونُ في ذلكَ وغيرِهِ، تقولُ: منعَ الحائطَ عنِ المَيْلِ، ولا تقولُ: صدَّهُ عنِ المَيْلِ؛ لأنَّ الحائطَ لا قصدَ لهُ[1].

النِّداء والدُّعاء:

النِّـداءُ يكـونُ برفعِ الصَّـوتِ، والـدُّعـاءُ يكونُ بـرفـعِ الـصَّـوتِ وغيرِهِ

فُرِّقَ بينَ النِّداءِ والدُّعاءِ مِنْ وجوهٍ، منها: أنَّ النِّداء يكون برفع الصوت غالبًا، والدُّعاء يكون بخفضه غالبًا، بل قد يكون بغير صوت، وقد يكون بالإشارة والكتابة، وأنَّ الأصل في النِّداء العمومُ، والأصل في الدُّعاء الخصوصُ، وفي الدُّعاء اهتمامٌ وأدب وحفاوة، ولذلك دائمًا ما يكون بدعوات خاصة بالنسبة للداعي أو بالنسبة للمدعوِّ، وقيل غير ذلك من الوجوه المعتبرة[2].

(1) العسكري، الفروق، ص: 311.

(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 534، زيدان، الفروق اللغوية في القرآن الكريم، ص: 524، والراغب، المفردات: (دعو).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والأربعون،
سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 41 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-92-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 41 : المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-92-1
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-2914887 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»